ثقافة المخدرات فى الساحل الشمالى "دراسة تتبعية"*

سعاد عبد الرحيم**

مقدمة

تعد الدراسات التتبعية (الطولية) من الدراسات المهمة التى تهدف إلى التعرف على التحولات والتغيرات التى تطرأ على الظواهر المجتمعية، ويزداد الأمر أهمية إذا كانت الظاهرة المدروسة تؤرق المجتمع كظاهرة (تعاطى المخدرات). ونعرض فى هذا السياق نتائج الدراسة التتبعية لثقافة المخدرات فى الساحل الشمالى كإحدى الثقافات الفرعية: دراسة عام ٢٠١٩، مع الأخذ فى الاعتبار نتائج الدراسة السابقة (الأساسية) لعام ٢٠٠٣، والتى نشرت عام ٢٠٠٦ لنتعرف على الثابت والمتغير فى هذه الثقافة.

منهجية الدراسة

دراسة وصفية تتبعيه اتبعت منهج المسح بالعينة.

عينة الدراسة

عينة عمدية قوامها ٥٠١ مفردة من الشباب من الجنسين البالغ أعمارهم ما بين (١٨ – ٣٥) سنة، من الوافدين على منطقة الساحل الشمالى للاصطياف، **تحديدًا قرية**

---

* عرض بحث، تكونت هيئة البحث من: أ. د. سعاد عبد الرحيم (مشرفًا)، أ. د. عادل سلطان (مستشارًا) د. إحسان سعيد، د. وليد رشاد (باحثًا رئيسيًا)، د. غادة رياض، أ. عبد الفتاح علام، من إصدارات المجلس القومى لمكافحة وعلاج الإدمان (٢٠٢٠).

** أستاذ علم الاجتماع، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

مارينا والمنطقة الساحلية لمدينة مرسى مطروح، وذلك فى شهرى يوليو وأغسطس. وتم توزيع فريق العمل الميدانى على فترتين، فترة نهارية وأخرى ليلية مع التركيز فى تخصيص أو توزيع عدد أكبر من الباحثين على الفترة الثانية؛ حيث يفضل الشباب من أفراد العينة قضاء أوقاتهم أثناء المصيف فى الترفيه والخروج أثناء الفترات الليلية عن أوقات النهار.

أدوات الدراسة

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الأدوات لجمع البيانات تمثلت فى:

أ- استمارة الاستبار

شملت الاستمارة فى شكلها النهائى ٥٧ سؤالًا توزعت على أربعة محاور رئيسية، هى:

المحور الأول: البيانات الأولية.

المحور الثانى: المعرفة بتعاطى المخدرات.

المحور الثالث: الخبرات الخاصة بالتعاطى.

المحور الرابع: تقييم خبرات التعاطى.

ب- دليل المقابلة المتعمقة

تضمن دليل المقابلة ستة موضوعات تشمل أبعاد الدراسة نذكرها فيما يلى:

- البيانات الأساسية.
- المعرفة بالمخدرات والتجربة الأولى للتعاطى.
- الأسباب الدافعة للاستمرار فى التعاطى.
- ثقافة المخدرات ومظاهرها.
- ارتباط تعاطى المخدرات بالمصيف والساحل.
- تأثير التعاطى والإدمان فى الفرد والأسرة والمجتمع وجهود المكافحة.

نتائج الدراسة

نتناول عرض نتائج الدراسة من خلال ثلاثة محاور، تمثلت فى:

المحور الأول: الثابت والمتغير فى المعرفة بالتعاطى

يتناول هذا المحور المعرفة بالتعاطى، ودور الأصدقاء فى المعرفة بتعاطى المخدرات، كما يعرض لمصدر المعرفة والمعلومات عن المخدرات، وأيضًا للشائعات المرتبطة بالمخدرات، وفيما يلى أهم النتائج:

١- انتشار التدخين، جاء ذلك بنسبة ٤٦,٣٪ أى ما يقرب من نصف أفراد العينة فى البحث الحالى يدخنون السجائر، وهى نسبة مرتفعة بين الشباب ولكن مقارنة بالبحث السابق نجد أن النسبة كانت أكثر ارتفاعًا حيث وصلت إلى ٧٧,٥٪، أى أن نسبة من يدخنون السجائر فى البحث الحالى انخفضت بمقدار ٣١,٥٪.

٢- أن ما يقرب من ربع العينة بدأوا تدخين السجائر فى الفئة العمرية أكثر من ١٥ سنة بنسبة ٢٤,٨٪، وانخفضت نسبة من بدأوا التدخين أقل من ١٥ سنة إلى ٨,٤٪. وهذه النتيجة تختلف عن البحث السابق؛ حيث أوضحت النتائج أن أكثر من ثلاثة أرباع العينة بنسبة ٧١,٤٪ دخنوا السجائر فى سن ١٥ سنة فأكثر، وأن ما يقرب من ربع العينة بدأوا التدخين فى سن أقل من ١٥ سنة بنسبة ٢١,٧٪.

٣- أن التدخين أحد العوامل الرئيسة فى المعرفة بالمخدرات، حيث أفاد بذلك أفراد العينة بنسبة ٨٩,٨٪ فى البحث الحالى، ولم تختلف النسبة كثيرًا فى البحث السابق فبلغت ٩٩,١٪.

٤- أن ٦٥,٩٪ من إجمالى العينة لديهم أصدقاء يتعاطون مخدرات، أى ما يقرب من ثلثى العينة، وهى نسبة مرتفعة وإن كانت منخفضة عن النسبة فى عينة البحث السابق والتى بلغت ٨٤,٩٪.

٥- أن مخدر الحشيش جاء فى مقدمة أنواع المخدرات الأكثر انتشارًا بين الأصدقاء بنسبة ٧٩,٧٪ فى البحث الحالى، و٧٧,٥٪ فى البحث السابق، وهى نسب متقاربة بشكل ملحوظ، وتوضح أنه لم يحدث تغيرٌ فى نوع المخدر الذى يتصدر قائمة الأنواع على مدار المدى الزمنى بين البحثين. وجاء شرب الخمور والكحوليات فى المرتبة التالية بنسبة ٣٠,٣٪ فى البحث الحالى، و٥٨,٩٪ فى البحث السابق بفارق ملحوظ بين الفترتين ربما يرجع إلى ارتفاع أسعار الخمور فى الوقت الحالى.

٦- أن نسبة ٩٤,٢٪ من أفراد العينة فى البحث الحالى، ونسبة ٩٩,٥٪ فى البحث السابق يعرفون أنواع المخدرات بشكل عام، وتَصَدَّرَ الحشيش قائمة المخدرات التقليدية بنسبة ٩٣,٦٪، يليه البانجو ٥٦,٦٪، ثم الهيروين بنسبة ٥٥,١٪ فى البحث الحالى، جاءت هذه الأنواع فى البحث السابق بالترتيب نفسه، حيث تَصَدَّرَ الحشيش ٩٨,٤٪، ثم البانجو بنسبة ٨٢,٥٪، ثم الهيروين بنسبة ٧١,٥٪. أما بالنسبة لمعرفة الأنواع الأخرى من المخدرات فقد جاء الماكستون فورت بنسبة ٣٢,٣٪ فى البحث السابق، بينما كانت نسبته فى البحث الحالى ١١,٢٪ مع المعرفة بالاكستازى فقط فى الدراسة الحالية بنسبة ضئيلة (٦,٨٪).

٧- أن النسبة الأكبر من أفراد العينة فى البحث الحالى والسابق عرفوا معلومات عن المخدرات عن طريق أحد الأصدقاء بنسبة ٤٠,٥٪ فى البحث الحالى، و٦٣,٥٪ فى البحث السابق، أى كان الانخفاض فى النسبة أقل من ٢٥٪، وجاءت نسبة المعرفة بالمخدرات من خلال التليفزيون فى المرتبة الثانية بنسبة ٤٠,٣٪ فى البحث الحالى، و٥٥,٥٪ فى البحث السابق، بينما احتلت المسلسلات أو الأفلام المرتبة الثالثة، ولكن بانخفاض ملحوظ، فبلغت فى البحث الحالى ١٧,٨٪ وفى

البحث السابق ١٦,٥٪. كما ظهر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعى كأدوات معرفية جديدة فى البحث الحالى بنسبة ٢٠,١٪.

٨- أن معلومات وتصورات عينة البحث حول تأثيرات المخدرات جاءت فى معظمها رافضة لشائعات التأثيرات الإيجابية للمخدرات ومؤيدة للشائعات حول الآثار السلبية للمخدرات، فنسبة ٦٨,٥٪ من إجمالى العينة فى البحث الحالى غير موافقين على أن المخدرات تساعد على نسيان الهموم مقارنة بنسبة ٥٩,٦٪ فى البحث السابق، وهى نسب متقاربة، أما الشائعات حول زيادة القدرة الجنسية فقد بلغت نسبة الرافضين لهذه المقولة ٦٣,٩٪ فى البحث السابق ونسبة٥٢,٢٪ فى البحث الحالى أى أكثر من نصف العينة.

٩- أن معظم أفراد عينة الدراسة رفضوا مقولتين شائعتين حول أن المخدرات بعضها "بيخلى الواحد يشتغل كويس" بنسبة ٦٧,٥٪ فى البحث الحالى، ونسبة٧٩,١٪ فى البحث السابق أى ثلثى العينة فى البحثين، وهى نسبة متقاربة مما يعنى وجود وعى دائم حول الأفكار الخاطئة عن المخدرات، والمقولة الثانية إن "المخدرات بتخلى الواحد يركز فى العمل" بنسبة ٧٣,٩٪ فى البحث الحالى، وانخفضت النسبة إلى ٤٧,٣٪ فى البحث السابق، مما يعنى ازدياد الوعى فيما يتعلق بأضرار المخدرات.

المحور الثانى: الثابت والمتغير فى الخبرة بالتعاطى

نعرض فى هذا المحور الخبرة بالتعاطى؛ حيث تم التركيز على فئة المدمنين للمخدرات من أجل الوقوف على أسباب التعاطى، وأنواع المخدرات التى يتعاطونها، والتحولات التى طرأت على ثقافة التعاطى لا من حيث الأنواع فقط، ولكن من حيث الأسباب الدافعة للتعاطى، والمشاعر المرتبطة بتجريب المخدرات لأول مرة وانطباعات

المتعاطى، ومدى الاستمرارية فى التعاطى، وجلسة التعاطى ووصفها، والممارسات المصاحبة للتعاطى. ويتضح ذلك من النتائج كما يلى:

١- أن ثلث أفراد العينة قاموا بتجربة المخدرات، وفى البحث الذى أجرى عام ٢٠٠٦ كانت النسبة تزيد على نصف العينة، ونجد أن نسبة تجربة المخدرات فى الدراسة الحالية- وإن كانت مرتفعة إلا أنها أقل مقارنة بالدراسة السابقة.

٢- أن النسبة الأكبر من أفراد العينة فى البحثين اتجهت إلى تجريب الحشيش فى المرتبة الأولى، حيث بلغت النسبة فى البحث السابق ٦٨,٢٪، بينما وصلت النسبة فى البحث الحالى إلى ٧٢,٢٪، واحتلت الكحوليات المرتبة الثانية، حيث جاءت بنسبة ٤٣,٤٪ فى البحث السابق، بينما حققت فى البحث الحالى نسبة ١٧,٢٪، وجاء فى المرتبة الثالثة البانجو فى البحثين؛ فكانت النسبة فى البحث السابق ٣٤,٧٪، بينما كانت ٨,٦٪ فى البحث الحالى، وظهر الفودو والأستروكس بنسبة ٠,٢٪ فى البحث الحالى مما يدل على أن أنواع المخدرات متغيرة ويظهر الحديث منها على المدى الزمنى.

٣- أن الاستمرار فى تعاطى الحشيش والكحوليات لدى المستمرين فى التعاطى احتل المرتبة الأولى بنسبة ٧٢,٢٪ فى البحث الحالى، بينما حقق فى البحث السابق ٦٥,٢٪، وجاء فى المرتبة الثانية البانجو والحشيش معًا بنسبة ١٦,٧٪ فى البحث الحالى، و٢٢,٣٪ فى البحث السابق. أما تعاطى الحشيش والبانجو والكحوليات معًا فقد احتل المرتبة الثالثة فى البحثين. وكان هناك ظهور لمخدرات جديدة كالفودو بنسبة ٥,٦٪ فى البحث الحالى.

٤- تعددت أسباب التعاطى فى البحثين، وجاء الفضول وحب الاستطلاع فى المرتبة الأولى فى البحثين، حيث بلغ فى البحث السابق نسبة ٦١,١٪، بينما حصل على نسبة ٥٥,٦٪ فى البحث الحالى.

٥- أن ثمة مشاعر نفسية مرتبطة بتجريب المخدرات، فقد أشار أفراد العينة إلى أن تجريب المخدرات يولد لدى صاحبه الشعور بالنشوة والفرح، بنسبة٥٥,٣٪ فى البحث السابق، فى حين أشار إلى ذلك نسبة ٣٦,٤٪ من عينة البحث الحالى. واحتلت المشاعر السلبية المرتبة الأكبر فى التأثيرات الجسدية لتأثير المخدرات، فقد أشار ما يزيد على ربع العينة فى البحثين إلى أن تجريب المخدرات أدى إلى الشعور بالدوخة والزغللة، وأشار بذلك نسبة ٢٩,٦٪ من عينة البحث السابق، فى حين أشار إلى ذلك نسبة ٢٧,٨٪ من عينة البحث الحالى.

٦- أن الاستمرار فى التعاطى بلغ ٣١,٨٪ من أفراد العينة فى البحث الحالى، فى حين كانت النسبة ٦٠,٨٪ فى البحث السابق.

٧- أن ما يزيد على ثلث العينة فى الدراسة الحالية استمر فى تعاطى أكثر من نوع من المخدرات، وذلك بنسبة ٣٧,٥٪، فى حين زادت على نصف العينة فى البحث السابق حيث بلغت نسبة ٦٤٪.

٨- أن النمط الجماعى فى التعاطى احتل مرتبة فى البحثين، فحصل على نسبة ٤١,٧٪ فى البحث الحالى، فى حين زاد فى البحث السابق على نصف العينة ليحقق ٦٠,٨٪.

٩- جاء تقارب السن فى البحثين فى مرتبة متقدمة فى مجموعات وجلسات التعاطى، حيث حصل على نسبة ٦٢,٥٪ فى البحث الحالى واحتل المرتبة الأولى، فى حين شَكَّلَ نسبة ٤٥٪ فى البحث السابق وحقق المرتبة الثانية.

١٠- أن المسئولية فى جلسات التعاطى غير محددة، ولا تقع على عاتق شخص بعينه، جاء ذلك فى المرتبة الأولى فى البحثين، وقال بذلك ما يقرب من نصف العينة بواقع ٤٧,٩٪ فى البحث الحالى، وكانت النسبة ٤٩,٧٪ فى البحث السابق.

١١- حقق حضور الإناث فى جلسة التعاطى اختلافًا بين البحثين، حيث أوضحت النتائج أن نسبة حضور الإناث ٣٧,٥٪ فى البحث الحالى، فى حين كانت فى البحث السابق ٦٨,٣٪.

١٢- أن ثمة ممارسات أخرى مرتبطة بجلسة التعاطى، حيث أشار إلى ذلك ما يزيد على نصف عينة البحثين، فقد أشار إلى ذلك نسبة ٥٨,٣٪ فى البحث الحالى، وكانت النسبة ٥٧,٧٪ فى البحث السابق، ومن الممارسات التى يقوم بها المشاركون فى جلسات التعاطى الرقص، والغناء ومشاهدة الأفلام والتسلية والضحك... إلخ.

المحور الثالث: **الثابت والمتغير فى تقييم خبرة التعاطى**

تعددت استجابات أفراد العينة فى البحثين حول الثابت والمتغير فى تقييم خبرة التعاطى، والصورة الذهنية للمتعاطى فى نظر المجتمع، وسبل المواجهة المجتمعية لمواجهة مشكلة تعاطى وإدمان المخدرات، ويتضح ذلك فيما يلى:

١- أن المخدرات تسبب ضررًا للفرد والمجتمع، حيث أشار إلى ذلك نسبة ٩٧,٠٪ من العينة التى أكدت على ضرر وخطورة المخدرات، نظرًا لما يترتب عليها من مشكلات صحية، ونفسية، واجتماعية، ولم يختلف الأمر كثيرًا عن رؤية أفراد العينة فى البحث السابق، حيث أقرت نسبة ٩٧,٣٪ أيضًا أن للمخدرات أضرارًا وخيمة.

٢- أن المخدرات تؤدى إلى أضرار عضوية (هلاك الجسم)، حيث أشار إلى ذلك نسبة ٧٨,٨٪ من أفراد العينة الحالية، وهى نسبة كبيرة الحجم مقارنة بعينة البحث السابق وكانت نسبتها ٦٦٪.

٣- أن المخدرات تسبب العديد من المشكلات والأضرار الاجتماعية، حيث إن تناول المخدرات وتعاطيها يكون سببًا فى انتشار العديد من المشكلات الاجتماعية والانحرافات والجرائم، وقد أفاد بذلك ١٦,٣٪ من أفراد عينة البحث الحالى مقارنة بنسبة ٢,٥٪ فى البحث السابق.

٤- أن المخدرات تسبب العديد من الأضرار، حيث ذهب إلى ذلك نسبة ٢٨,٦٪ من عينة البحث الحالى، وأجمعوا على أن المخدرات تسبب أمراضًا نفسية مثل القلق والاكتئاب والتوتر والانفعال، فى حين كانت النسبة فى البحث السابق ٢٩٪.

٥- أن المخدرات تحقق بعض الفائدة الوهمية للمتعاطى خاصة إذا كان فى بداية مرحلة التعاطى، حيث ذهب ٣٣,٣٪. من العينة إلى أن المخدرات "بتخلى الدماغ عالية"، وقد بلغ هذا المتغير نسبة ٧٠٪ فى البحث السابق. فى حين ذهب بعض أفراد العينة إلى أنها تنسى الهموم بنسبة ٣٣,٣٪ وقد انخفضت أيضًا نسبة هذا المتغير عن البحث السابق حيث سجلت ٥٠٪. وقد رأت نسبة ١٣,٣٪من أفراد عينة البحث الحالى أن المخدرات تساعد على التفكير والثقة بالنفس وذلك بنسبة أقل من البحث السابق، حيث بلغت النسبة ٢٠٪.

٦- رأت نسبة ضئيلة من أفراد عينة البحث الحالى أن الشخص المتعاطى له حرية الاستمرار أو التوقف عن تعاطى المخدرات، حيث بلغت ١,٦٪ وذلك ناتج عن اقتناعهم بأن ذلك يعود إلى كونها حرية شخصية للفرد، وأن ذلك ينبع من قرار الفرد الشخصى، ولم يختلف ذلك كثيرًا عن البحث السابق حيث مثلت النسبة فيه ١,٨٪.

٧- أقر أفراد العينة فى البحثين بأن المخدرات حرام بنسبة ٩٣,١٪ فى البحث السابق، فى حين جاءت النسبة ٨٨٪ فى البحث الحالى، وزادت نسبة من أفاد بأن المخدرات حلال فى البحث الحالى؛ حيث بلغت النسبة ٦,٤٪ وكانت فى البحث

السابق ٠,٢٪، مما يدعو إلى دق ناقوس الخطر وزيادة الاهتمام بتأصيل القيم الدينية والأخلاقية.

٨- أن نظرة المجتمع السلبية للمتعاطى لم تتغير فى البحثين، حيث يرى أفراد العينة أن المجتمع يعد المتعاطى إنسانًا مستهترًا بنسبة ٦٢,٢٪ فى البحث السابق، و٣٩,٧٪ فى البحث الحالى. وجاء اعتباره مريضًا فى المرتبة الثانية – بالرغم من أن هذا هو التشخيص الصحيح- فبلغ فى البحث السابق ٢٦,٧٪، والحالى ٢٣,٨٪، إضافة إلى عدم القبول الاجتماعى لهؤلاء المتعاطين بنسبة ٨٦,٦٪ فى البحث الحالى.

٩- أن من أهم سبل الحد من انتشار المخدرات فى رأى أفراد العينة تعدد الجهات المسئولة عن الحد من انتشارها، وجاء "تكثيف الدولة لجميع جهودها للقضاء على المخدرات" بالمرتبة الأولى بنسبة ٥٥,٥٪ تليها التوعية الإعلامية الجيدة بنسبة ٢٤,٦٪ فى البحث الحالى، ونسبة ٥٢٪ و٢١,٦٪ على التوالى فى البحث السابق. أما عن دور التوعية من قبل الأهل فجاءت النسب متساوية تقريبًا (٢١,٨٪ للبحث الحالى، و٢١,٦٪ للسابق). واللافت للنظر أن التوعية الدينية جاءت فى المرتبة الثالثة، وكانت النسبة فى البحث السابق ٢٦,٢٪ فى حين حازت فى البحث الحالى على نسبة ١١,٨٪ بانخفاض ١٤,٤٪ عن البحث السابق. مما يدعو إلى دق ناقوس الخطر كما ذكرنا من قبل والعمل على تعزيز القيم الدينية والأخلاقية بين الشباب.

ومما سبق نوجز الثابت والمتغير فيما يلى:

أولا: الثابت

١- التدخين أحد العوامل الرئيسة فى المعرفة بالمخدرات، حيث مازال "بوابة التعاطى".
٢- الأصدقاء هم مصدر المعرفة الرئيس بالمخدرات، ثم تأتى بعد ذلك وسائل الإعلام.
٣- مخدر الحشيش هو المخدر الرئيس فى التجريب والتعاطى.
٤- الإقرار بالمشاعر السلبية بعد التعاطى.
٥- تحتل المصايف المرتبة الثانية فى أماكن التعاطى.
٦- وجود ممارسات تقترن بجلسات التعاطى.
٧- المخدرات لها أضرار صحية/ نفسية/ اجتماعية.
٨- النظرة السلبية للمتعاطى من قبل المجتمع.
٩- الدولة دورها رئيس فى مكافحة المخدرات يليها دور الأهل.

ثانياً: المتغير

١- ظهور الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعى كأدوات معرفية جديدة للمخدرات.
٢- ظهور أنواع جديدة من المخدرات كالفودو والأستروكس (مما يعنى تغير أنواع المخدرات على المدى الزمنى).
٣- تناقص الوعى الدينى، حيث زادت نسبة من يرون أن المخدرات حلال، وإن كانت نسبة ضئيلة فهى تنذر بالخطر.